

ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ

الشيخ/ عبد الكريم الخضير

((إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتِ)) مَنْ كَانَ وَلِيًّا لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-؛ رَفَعَهُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-؛ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ إِذْلَالَهُ، أَوْلِيَاءُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، الْعِزَّةُ لَهُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُذَلَّهُمْ، وَجَاءَ بَعْدَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عِنْدَ الْبِيهَقِيِّ: ((وَلَا يَعْزُّ مَنْ عَادَيْتِ)) عَدُوُّ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- ذَلِيلٌ، عَدُوُّ اللَّهِ ذَلِيلٌ سِوَاكَ كَانَ عَدُوُّ مُعَادَاةٍ تَامَّةً بِالْكَفْرِ وَالْجُحُودِ أَوْ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يُعْضِبُ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- مِنَ الْفِسْقِ وَالْمَعْاصِي وَالْفُجُورِ فَهِيَ ذِلٌّ عَلَى صَاحِبِهَا، يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحْمَةُ اللَّهِ -: "فَإِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَقَتْ بِهِمُ الْبَرَادِينُ وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ"؛ فَإِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُهُمْ، يَعْنِي مَهْمَا ظَهَرَ بِهِمُ الْمَظْهَرُ مِنْ أُبَّةٍ وَتَعَالَى وَارْتِفَاعٍ عَلَى النَّاسِ؛ فَإِنَّ هَذَا هُمْ فِي حَقِيقَةِ أُمُورِهِمْ فِي شَقَاءٍ وَذُلٍّ، وَتَجِدُ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ مُطَاعًا مُهَابًا بِجُيُوشِهِ وَبِعَدَّتِهِ وَعَنَادِهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ ذَلِيلٌ لِأَحْفَرِ حُرَّاسِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَارِسَ الَّذِي عِنْدَ الْبَابِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَكِّنَ الْعَدُوَّ الَّذِي يَقْتُلُهُ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: "إِنَّ الْمُلُوكَ عِبِيدٌ لِعَبِيدِهِمْ"... فَهَلْ هَذَا مَلِكٌ تُسَبِّتُ بِهِ؟! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَإِذَا عَرَفْنَا الْجَزَاءَ الْأَوْفَى عِنْدَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - لِآخِرٍ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَنْ يَتَمَنَّى مَلِكًا أَعْظَمَ مَلِكًا فِي الدُّنْيَا، فَيُقَالُ: لَكَ مِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، هَذَا وَأَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي، هَذَا يُمْكِنُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، عَشْرَةَ أَمْثَالِ مَلِكِ ذُو الْقَرْنَيْنِ، أَوْ هَارُونَ الرَّشِيدِ، أَوْ أَعْظَمَ مَلِكٍ فِي الدُّنْيَا، وَيَأْتِي مَنْ يَمْلِكُ حِفْنَةً مِنَ النَّاسِ أَوْ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ، وَيَسُومُ النَّاسَ سُوءَ الْعَذَابِ -نَسَأُ اللَّهُ الْعَاقِبَةَ- وَيَتَرَفَّعُ عَلَيْهِمْ وَيَتَعَالَى، وَإِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى أَنْفِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.